الفصل الحادى عشر
ارهاب ما بعد السلام !

« إن الاختيار الماثل أمام اسرائيل ويهود العالم هو : إما دولة يهودية تضمحل تدريجيا أو جالية يهودية قوية داخل دولة يهودية عربية . والاختيار الثاني يعني التخلي عن الصهيونية في كل أشكالها . فالصهيونية التي نشأت في ظل مجموعة فريدة من الظروف ، انتهت باختفاء هذه الظروف لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها الا وهو حل المشكلة اليهودية » .

بنجامين عمري

الفصل الحادى عشر

إرهاب ما بعد الاسلام !

استطاعت إسرائيل أن تعلم الفلسطينيين العنف السياسى ، ففى عام ١٩٤٨ ، أقام مناحم بيجين مذبحة من أقسى المذابح ، التى حدثت فى كل تاريخ البشرية ، وهى مذبحة دير ياسين ، وكان رد فعل هذه المذبحة هو هروب الفلسطينيين من فلسطين خوفاً من الإرهاب الصهيونى ، وبعد قيام دولة إسرائيل ، وقيامها بسلسلة غير عادية من المذابح والأعمال الإرهابية ، وعندما حدثت نكسة عام ١٩٦٧ ، لم يخرج الفلسطينيون كما خرجوا بعد هزيمة ١٩٤٨ أو بعد مذبحة دير ياسين ، ولكنهم تمسكوا بالأرض ورفضوا الخروج . ثم بدأوا مقاومة الإحتلال من خارج الأرض ، ثم تطور الموقف وانتقلت المقاومة من الخارج إلى المقاومة من الداخل ، كان الفلسطينيون يلقون بالحجارة على قوات الإحتلال ، وكانت هذه القوات تستخدم المدافع الرشاشة ضد المقاومة السلمية للفلسطينيين بل قامت - حتى بعد اتفاق السلام الإسرائيلى الفلسطينى - بإقامة عشرات المجازر للشباب الفلسطينى ، وقامت بهدم بيوت الفلسطينيين وطردهم منها ، وكانت أبشع المذابح ، تلك المذبحة الشهيرة بمذبحة الحرم الإبراهيمى والتى تمت عقب اتفاق السلام بين الحكومة الإسرائيلية وبين منظمة التحرير الفلسطينية .

كانت المجزرة بشعة إلى حد يثير الغثيان .

كانت المجزرة تؤكد أصالة الإرهاب داخل « الشعب » الإسرائيلى .

كانت المجزرة إستهانة بالقيم الإلهية وكل الأديان .

كانت المجزرة تحدياً للمجتمع الإنسانى كله .

كانت المجزرة تأكيدا على روح الشر والحقد داخل مجتمع الإرهاب فى إسرائيل .

كانت الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ١٥ من شهر رمضان الكريم (فبراير ١٩٩٤) ، وتوافد عدة مئات من الفلسطينيين المسلمين إلى صحن المسجد لأداء صلاة الفجر فى هذا الشهر الكريم ، ونادى مؤذن المسجد للصلاة . ووقف المصلون بين يدى الله .

وفجأة . . اقتحم المسجد مجموعة من الإرهابيين بقيادة الإرهابى باروخ جولد شتاين (يهودى أمريكى استوطن إسرائيل) ، يحملون جميعا مدافع رشاشة ،

وقنابل يدوية . وفى هذه اللحظة ، لحظة دخول الإرهابين صحن المسجد ، كان المصلون ساجدون لله عز وجل ، وألقى « البطل » الإسرائيلى بقنبلتين يدويتين على الخاشعين لوجه الله ، وفوراً انطلقت طلقات الرصاص من مدافع الإرهابيين الإسرائيليين على المصلين ، وكلما فرغت خزائن مدافع الإرهابيين أعادوا تعبئتها وعادوا لإطلاق الرصاص فيمن ظل حياً من المصلين الفلسطينيين أو حاول الخروج من المسجد والهرب من تلك المذبحة .

وانتهت واحدة من أسوأ مجازر التاريخ البشرى ، وإمتلأ المسجد بتسعة وسبعون شهيداً ومائتى ستة وخمسون مصاباً .

وخرج « فرسان » المجزرة ، بعد أن فرغت رصاصاتهم .

وانتقل الخبر بسرعة البرق إلى كل مواطنى فلسطين فى الأرض المحتلة .

وخرجت المظاهرات الغاضبة فى الأرض المحتلة ، تصرخ ، تبكى ، وكلها قهر وحزن .

وخرجت قوات الإحتلال لقمع مظاهرات القهر والاحتجاج .

وأطلقت القوات الإسرائيلية الرصاص على المتظاهرين ، فأضافوا ثلاثة شهداء جدد إلى موكب شهداء مجزرة المسجد الإبراهيمى بالخليل .

فماذا فعلت إسرائيل بمرتكبى الحادث ؟

لقد تم إعتقال « بطل المجزرة » ، وقبضت على مرتكبى المجزرة لمحاكمتهم محاكمة صورية ، وظل التوتر سائدا بين الفلسطينيين لعدة أسابيع طويلة ، وقررت إسرائيل تقسيم « الحرم الإبراهيمى » ، وأعطت للمسلمين ثلث الحرم ، والباقى لليهود .

وعاد التوتر من جديد .

وأعلنت إسرائيل عن فتح المسجد أو الجزء الخاص بالمسلمين للصلاة بشرط أن يتم ذلك بأعداد قليلة .

ويوم الافتتاح ، وكان ذلك لصلاة الجمعة ، كانت إسرائيل تبنى نصباً تذكارياً لزعيم المذبحة على مقربة من المسجد ، باعتباره فارساً وبطلاً قومياً .

ملاحظة غريبة : بعد كل اتفاقية سلام مع الدول العربية ، لابد وأن تقدم على عمل إرهابى كبير ، ومع كل رئيس دولة عربية يأتى . بعد السلام تنفذ خطة إرهابية ضد أى دولة عربية ، لتؤكد أن السلام لا يعنى التخلى عن الارهاب . وأن لإسرائيل اليد الطولى على كل العرب ، وأن على العرب أن يسعدوا بموافقة اسرائيل على السلام ، فعقب اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى الشهير باتفاقية كامب ديفيد ،

طلب مناحم بيجين لقاء الرئيس المصرى أنور السادات ، وقامت أجهزة الإعلام الإسرائيلية بالتوسع فى نشر وبث هذا الخبر المثير ، ووافق الرئيس السادات على اللقاء ، وتم اللقاء ـ على وجه السرعة ـ فى جنوب سيناء ، وتحدث بيجين على العلاقات المصرية الإسرائيلية ، والاستقبال البارد من قبل المصريين للسلام ، وحجم الإسرائيليين الذين يزورون مصر بالمقارنة بالحجم الضئيل للمصريين الذين يزورون إسرائيل . وأن طائرات العال تعود من القاهرة خاوية من الركاب المصريين .

دهش السادات لطلب بيجين « سرعة اللقاء بالسادات » فالأمر لم يكن يحتاج هذه السرعة ، وهذه الإثارة الأعلامية الكبرى .

وبعد ساعات من اللقاء . . قامت الطائرات الإسرائيلية بعدة غارات مؤثرة فى المنشآت النووية العراقية . واستشهد فى هذه الغارات عشرات من العراقيين والعرب الذين كانوا يعملون فى المفاعل الذرى العراقى .

واحتج السادات بشدة لهذا العمل الارهابى .

وسللت إسرائيل خبرا يقول أن بيجين التقى بالسادات ليحصل منه على الضوء الأخضر لضرب المفاعل النووى العراقى !!

وكان هذا عقب اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى .

• • •

بعد اتفاق واشنطن بين منظمة التحرير الفلسطينية ، عاد اسحق رابين ، ليرعى سلسلة من الأعمال الإرهابية ضد الفلسطينيين وخاصة فى قطاع غزة ، ولكن قمة هذه التراجيديا هى : مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل بالضفة الغربية .

• • •

إسرائيل ، ركبت مجبرة عربة السلام ، وكانت تتصور أنها ستمسك زمام أمور السلام ، وتقود عربة السلام ، إلى حيث تريد ، وأن مفهومها للسلام هو إضافة « المال العربى » لدى من لا يستحقه إلى « الدولة القوية » ، ثم إضافة « الأيدى العاملة العربية الرخيصة » إلى القوى العاملة الإسرائيلية . وبهذا يصبح لها الريادة والهيمنة على منطقة الشرق الأوسط .

ولكن قوة دفع السلام ، كانت أقوى من أحلام إسرائيل ، وطبيعة الأشياء أقوى من مكر وتخطيط إسرائيل ، لقد أرادت أن تقضى على العرب بالسلام ، فإذ بالسلام حبل يلتف حول عنقها ، هناك من يقول من المفكرين الإسرائيليين بأن عبد الناصر بصيحات الحرب التى كان يطلقها من وقت لآخر ، وشعارات « مصر

أقوى قوة » قد أذاب التناقضات داخل المجتمع الإسرائيلى لمواجهة التحدى والخطر الخارجى ، كما دفع بإسرائيل إلى التقدم والاستنفار الدائم ، ثم كانت المأساة الكبرى بأن أهدى لهم كل الضفة الغربية ، كل قطاع غزة ، كل هضبة الجولان ، كل سيناء إلا قليلا ، بالاضافة إلى جانب من أراضى شرق الأردن ، وذلك خلال هزيمة عام ١٩٦٧ .

ثم جاء السادات .

وحرر فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ جانبا من سيناء بالقوات المسلحة المصرية ، ودخل - عن وعى وإدراك بما يفعل - دائرة السلام ، وقرر أن يقضى على الإرهاب الإسرائيلى بالسلام ، وينزع منهم كل أسلحة القوة وعوامل التحدى والبقاء .

ورغم أنه لم يكمل المسيرة ، إلا أنه ترك للسلام قوة دفع لا تملك إسرائيل ايقافها .

وغدا . . سوف تشهد الأجيال القادمة ، إسرائيل وقد تحولت إلى احدى دول الشرق الأوسط ، وقد انتزع منها العنصرية الصهيونية رغما عن قادتها . فلقد ترك المتناقضات فى المجتمع الإسرائيلى تجتمع شتاتها مرة أخرى ، وتعود لقوتها ، لتقضى على عنصرية مجتمع « العسل واللبن » .

* * *

بعد السلام مع مصر ، حدثت عدة ظواهر جديدة على المجتمع المصرى ، وكلها ظواهر سلبية خطيرة ، ومنها :

●● انتشار الهيروين بين الشباب ، وهو مسحوق بنى فاتح ويؤدى إلى الإدمان فالموت . وقد تمكنت إدارة مكافحة المخدرات من القبض على عصابات دولية لتهريب الهيروين إلى مصر . ودائماً يوجد إسرائيلى فى مثل هذه العصابات . وسألت أكثر من خبير مكافحة مخدرات عن دور إسرائيل فى إغراق السوق المصرى بالهيروين ، لم يتمكن أحد من هؤلاء الخبراء أن يؤكد بأن « الحكومة » الإسرائيلية وراء هذا الانتشار ، **كما أنه لم يستطع أن ينفى إمكانية وجود أصابع الموساد فى هذه العصابات** .

●● جاءت إلى مصر - بعد التطبيع الزراعى ، آفات لم نسمع عنها من قبل ، وأصيبت زراعتنا بأمراض لم نعرفها فى كل تاريخنا الزراعى ، على سبيل المثال لا الحصر « **دودة النخيل** » والتى عرفت « **بالأدز النخيل** » وهى دودة تأكل « **لب** » **النخيل** ، ولا تترك النخلة إلا بعد أن تلتهم هذا « **اللب** » . . وتموت النخلة ،

واحتار الزراعيون فى أمر هذه الدودة ، وتهدد هذه الدودة ثروتنا من النخيل . . من أين جاءت هذه الدودة القاتلة ؟ . . هل جاءت من إسرائيل ؟ ـ لا أحد تحرى الحقيقة حتى الآن !

وما نسمعه عن آفات جديدة ، تدخل مصر لأول مرة ، وتفسد زراعتنا ، حتى وصلت الفجوة بين الاستهلاك الغذائى وبين الانتاج الزراعى الى ستين فى المائة ، بينما ـ فى السابق ـ كان هناك إكتفاء غذائى واقى ، وما زال السبب غامضا .

●● تم القبض على عصابات مصرية وأجنبية لترويج العملات الأجنبية المزورة فى السوق المصرى ، وثبت أن المروجين من إسرائيل ، فهل هى خطة إسرائيلية لتدمير الإقتصاد المصرى ؟

●● حدثت فضيحة خطيرة ، تكتمتها أجهزة الاعلام المصرى ، لقد جاءت إلى جنوب سيناء فتاة اسرائيلية جميلة ، وحاولت ممارسة الجنس مع أكبر عدد من المصريين ، وعاشت فى جنوب سيناء عدة أسابيع ـ وكأنها فى مهمة وطنية ـ وبعد عودتها إلى إسرائيل ، أعلنت أنها ذهبت الى جنوب سيناء خصيصا ، لتنقل الإيدز منها إلى أكبر عدد من المصريين . ولم يتحرى أحد فيما إذا كانت قد جاءت إلى جنوب سيناء ضمن الإرهاب الإسرائيلى ما بعد السلام . . أم أنها مجرد متطرفة إسرائيلية تكره المصريين .

* * *

مما لا شك فيه ، أن الطبيعة الإرهابية للدولة اليهودية ، تعلم أن الخطر الحقيقى على سياسة الهيمنة الإسرائيلية هى مصر ـ وخاصة بعد هرولة العرب إلى أحضانها فور اعلان اتفاق غزة أريحا ـ وأن فى « خزينة » الموساد ، والحكومة الاسرائيلية الخطط الاسرائيلية التآمرية على مصر ، منها ما قد أعلن ، ومنها ما هو خفى ، ومن المعلن هو مشروع إسرائيل القديم ، يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر ، عن طريق قناة من إيلات على خليج العقبة ، تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض . كقناة بديلة لقناة السويس ، وهو مشروع يعتبر اعلان الحرب على مصر .

وما خفى ـ لديهم ـ كان أعظم . . . وأخطر !!